المسألة التاسعة عشرة
فى تفسر قوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

وليس نجد ، نحن ولا أنتم ، ها هنا خلقاً مخلوقاً محاطاً به ، خلَقَهُ العبادُ إلا حركاتهم ، وليست تلك الحركات خلقاً لله ، جل ثناؤه ، ولا فعلاً ، ولو كانت الحركات خلقه وفعله ، لكان بالصحة الصحيحة الشاتم لنفسه ، والمدعى لنفسه الأولاد والصواحب والأنداد ، والشركاء والأضداد!.

ولو كان كما قلتم ، لكان القاتل لرسله والسافك لدمائهم ، والواضع للسيوف لهم فى رؤسهم ، والقاتل للأئمة الراشدين والشهداء والصالحين والمؤمنين ، ولكان الفاعل لكل ظلم وكفر ، وجور فى الأرض ، مما كرهه ونهى عنه ، وعابه وعنَّف عليه وأعدَّ عليه ، النيران والعذاب الأليم، الذى لا انقطاع له ، وجعله [1] فيه من الأحكام فى الدنيا من القتل والصلب ، وقطع الأيدى والأرجل ، وسائر الحدود ما عظم فيه النكال، وجل عن كل مقال ، فتبارك الله أحسن الخالقين ؛ العدل الرؤف الرحيم البرئ مما قلتم، والمتعالى عما إليه أسندتم .

أفيكون بهذا ، ويحك، يا عبد الله بن يزيد البغدادى، من النكال فى الدنيا والآخرة، صفة من فعل شيئاً بقومٍ وإرادَه منهم ، وخلقه من فعلهم ، وسمَّى نفسه عادلاً وحكيماً ورحيماً، وأنه لايظلم ولايجور !.. فهذه صفةُ خالقِكَ عندك وهذا تقديره وحكمته !.. جل الله وتعالى ، وتقدس عما قلتم علواً كبيراً.

فان قلتم : إنه قال ، عز وجل ، فى كتاب الله : ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] ، فلذلك ألزمناه خلق كل شئ .

قلنا لك : أيها المغرور فى دينه ، الذى لم يلقَ العلماء ، ولم يغترف من عين الماء ، ١٢٥و/ إن القرآن عزيز مبين ، عظيم القدر ، واضح المنازل ، زاهى السراج ، وليس / هو بعجمى ولاغبى ، ولاخافى المعانى ، عن أهل العلم ، وأهل اللغة العربية والبيان وورثة الحكمة من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام .

---

(١) فى الأصل : وجعله .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٢ .

من المجاز اللغوى :

ألا ترى أن العرب تقول : دخلنا السوق فوجدنا فيه من كل شئ ، وهم لم يجدوا فيه رسول الله ، ﷺ ، وهو من أعظم الأشياء ! . .

وكذلك لم يجدوا فيه من مات من المؤمنين ولا من أبائهم وإخوانهم ، وكذلك لم يجدوا فيه قطع السحاب ، ولا نجوم السماء ، وهذه أشياء لم يجدوها ! . . فجاز ذلك فى اللغة .

وتقول العرب : دعانا فلانٌ إلى منزله فأطعمنا من كل شئ ، وهو لم يطعمهم لحم خنزير ، ولا لحم الأسود ، ولا لحم الإنسان ، ولا لحم الحيات ، فجاز ذلك فى اللغة أنه أطعمهم من كل شئ ، وهذه أشياء لم يطعمهم إياها ! . .

تعميم الخاص فى اللغة :

تقول العرب : من الخصوص فى الكلام مانجعله عاماً ، وإنما نزل القرآن بلغاتهم المعروفة ، وشاهد ذلك قول الله ، عز وجل، : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[1] ، والدليل على صدق قولنا كتاب الله ، عز وجل ، حيث قال فى ملكة سبأ : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ، فنقول لكم : هل أوتيت شمساً وقمراً ونجوماً وسماء وأرضا وجنة وناراً ؟! . . أو هل أوتيت فرجاً كفرج الرجل ، أو لحية كلحية الرجل ،وهل أوتيت ولداً من غير فحل ؟! . . . فكل هذه أشياء لم تؤتها ، بإجماع الخلق كلهم ، وقد قال الله ، عز وجل ، فيها : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . وهذه أشياء كثيرة لم تؤتها ، وكفى بهذا بياناً وحجةً قاطعة لدعواكم .

وكذلك قوله ، عز وجل : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3] ، إنما عنى به مما خلق خاصة ، ولم يعن بذلك الشرك ولا الكفر ولا إلا فك ولا سائر المعاصى ، التى خلقها العباد وهو البرئ من ذلك ، عز وجل .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

مثال مفهوم النفس بين الله والإنسان :

والدليل لنا على ذلك أيضاً قوله ، عز وجل ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .. فاخبر أن له نفساً ، عز وتعالى ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[2] ، فاجمل ها هنا أن كل نفس ذائقة الموت ، ولم يستثن نفساً بعينها ، فلو وجب ما قلتم في خلق الأشياء ، لوجب في النفس ها هنا ، مثل ما ادعيتم !.. جل الله وتعالى عما تقولون علواً كبيراً .

وقوله ، عز وجل : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[3] ، ثم قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[4] ، فدل بذلك إنما خص الريح أنها دمرت بعض الأشياء ، لا كلها ، بعدما قال : « تدمر كل شئ » ، يعني ، عز وجل ، وما أرسلت عليه خاصة لا عامة ، ألا ترى أنها تدمر مساكنهم ، وأنها لم تدمر السماء ولا الأرض ، ولا الجبال ولا النبي هوداً ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا من كان ١٢٥ظ/ معه من المؤمنين ، وأن الآية خاصة دون عامة ، وأن الآية توجب عليكم في / قول الله ، عز وجل : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أنه يعني ، عز وجل ، مما خلق هو وصنع وابتدع ، لا ظلم الظالمين ، ولاجور الجائرين ، فجعل ذلك خصوصاً في خلقه المنفرد به لاعموماً خلق غيره ، وعذب عليه فاعله . فهذا أكبردليل ، وأوضح حجة ، وأقطع لكل مفتر .

﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ .. ﴾ :

وقوله ، عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5] ، فقالوا : انطقنا الله الذى انطق كل شئ ، وهو خلقكم أول مرة ، وأراد الله ، عز وجل ، بهذا خاصاً دون عام ، لأنه لم ينطق الجبال ولا الأشجار ، ولا البهائم ولا كثيراً مما خلق ، وإنما هذا خصوص من دون عموم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الاحقاف : الآية ٢٥ .

(٤) سورة الاحقاف : الآية نفسها .

(٥) سورة فصلت : الآية ٢١ .

مثل قوله ، عز وجل : ﴿ واللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، فالكفر ليس هو غير ما ذكرنا لك ، من حركات بنى آدم واعتقاد قلوبهم ، لا شئ غير ذلك ، ولا تجده أبداً ، لا أنت ولا أخوانك المجبرة ؛ لأنك سميت كفراً مخلوقاً ، لا حجة لك عليه ولا برهان ، إذ لا يدركُ ببصر ولا يلمس ولا يُحاط به بقطر ، حتى يُعرف ويميز خلق الله ، عز وجل ، من خلق بنى ادم .

فقد جاءك فى هذا من البيان والحجة من كتاب الله ، عز وجل ، ما فى أقل منه أكفى [1] الكفاية ، وجاءك من لغة العرب ما فيه البيان .

قال الشاعر ، يمدح رجلاً :

فلو كانَ للشكرِ حَدٌّ يُحَدُّ ... إذا ما تأملهُ الناظر

لصورتُه لك حتى تَراهُ ... فتعلم أنى امرؤ شاكرُ [2]

فقد علمت العرب أن ليس للشكر حدٌّ يُدرك ، ولا صورة تنال ، حتى يعرف الشكر بتلك الصورة ، فلا حد له يوقف عليه ، غير حركات بنى آدم ، من شكر اللسان والمكافأة بالفعل الذى هو حركة أيضاً ، ولايُعرف للشكر معنى آخر ، غير ذلك إلا اعتقاد القلب .

وكذلك الكفر مثله سواء ، وجميع الأفعال ، ولو كان الشكر الذى عنى [3] الشاعر، أنه يريد أن يشكر به ملكاً من ملوك الظالمين المعاندين لله، عز وجل ، هو مخلوق ، لكان الله ، عز وجل ، هو الشاكر للملوك المشركين ، والكافرين المعاندين له بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[4]، والعدو لا يشكر عدوّه ، فى سبب من جميع الاسباب ، ولا يشكره على لسان غيره ، ولا يصح هذا فى العقول أبداً ، وكفى [5] بهذا حجة .

إلا أن تقول ، أنت يا عبد الله بن يزيد البغدادى ، وإخوانك المجبرة : إن جميع

---

(١) فى الأصل : اكفا .

(٢) البيتان من بحر المتقارب .

(٣) فى الأصل : عنا .

(٤) سورة البقرة :الآية ٩٨ .

(٥) فى الأصل : وكفا .

ما سمينا من الشرك والكفر والفواحش ، والقتل والزنا والخنا واللواط والكذب، والإفك وجميع الجور والظلم ، هو شئ مخلوق موجود ، إلا أنه لا تراه العيون، ولاتدركه الحواس ، ولا تناله الجوارح ، ولا تلمسه الايدى ولا تحيط به الاقطار.

فنقول لك عند ذلك : فإنه يلزمك فى هذا القول فسادان عظيمان ، وكفران اثنان، فى كليهما بطلان دعواك ، وبيان كذبك ونقض فريتك وفضيحتك.

١٢٦ و/ (١) أما أحدهما : فيلزمك أنك قد أثبت شيئاً لا تدركه الأبصار ، ولا تلمسه الأيدى ، ولا / تقع عليه الخواطر ، ولا الاماكن ، ولايُدرى ما كنهه ، فيبطل عليك قولك بالتوحيد ؛ لأنك قد أدعيت موحداً !..

(٢) ثانياً : فيه صفة معبودك الذى وجدته ، فزعمت أن هذا الآخر نظير له ، ونِّدٌ لا تدركه الحواس ، ولا تناله الخواطر ، ولا تحويه الأماكن ، فيفسد عليك دعواك فى التوحيد ، وتكفر بهذا القول الذى وصفت به أفعال العباد .

يلزمك أنك قد وجدت شيئاً آخر ، غير الذى ليس كمثله شئ ، وكفى بهذا جهلاً وعمى [1] وفضيحة ، على من زعم أنه يقول بالتوحيد .

لا توحيد بغير عدل :

وقد أعلمناك أن لا قوام لقائل بتوحيد الله ، عز وجل ، ولا ينفع ذلك دون القول بالعدل ، لأنه من زعم أن الله ، عز وجل ، فعل شيئاً مما كره ، أو خلق شيئاً مما عنه نهى [2] ، أو دخل فيما عاب ، أو عاقب على فعل نفسه ، أو غضب من إرادته ، أو عنَّف أحداً على خلقه ، كان هذا غاية التشبية .

وأنه لم يفرق بينه وبين خلقه ، وقد شبهه بالجائرين والجاهلين والعبَّاثين ، والجورة المتعنتين والمفسدين ، وكم ينفعه ما ادعى من التوحيد ، ولم يستحق اسم موحِّدٍ لما قد قرنه به ، عز وجل ، من الجبر والتجوير والتشبيه بالظالمين ، والتسوية بينه وبين الشيطان الرجيم فى العداوة للخلق، وإرادة المعاصى منهم، وحملهم على ما يهلكهم ،

---

(١) فى الأصل : وكفا .. وعما .

(٢) فى الأصل : نها .

ويورثهم الخلود فى النار أبداً الأبيد ، سبحانه الله العظيم رب العرش الكريم، الحكيم العادل الرحيم عما قلتم ، وبه دنتم ، وفيه ناظرتم ، وبه إلينا كتبتم ، وعنه سألتم ، وفيه لعنتم .

فهذا جوابنا لكم ، فى نقض جميع ما قصدتم ، من الفرية على رب العالمين ، فصرتم له خصماء ، ولحزبه أعداء ، وعن طاعته عُنداء ، ولمن خالفه أولياء ، فالحمد لله ، الذى حجب الحق ، بشواهد العدل ، وأوضح القرآن ، وشافى البيان ، عن كيد الكائدين ومعاندة المعاندين ، وإلحاد الملحدين.

***

براءة يوسف من جهالات المجبرة:

وأما ما ذكرت من **يوسف** النبى ، صلى الله عليه ، فإن **يوسف** لم يعص الله ، عز وجل ، ولم يهم له بمعصية ، على ما ذهبتم إليه ، ولو كان هَمَّ له بمعصية . لم يقل فيه من جميل الثناء والمدح والشكر ، ما لا يزال يُقرأ أبداً ، حتى تزول الدنيا ، وتَزْلَفُ الآخرة من قوله ، عز وجل،: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

الصرافة:

وليس يكون المخلص ، من هَمَّ بفعل فاحشة ، والصرف من الله ، تبارك وتعالى ، وأنه يَرَاه (من) الظلم ، وحمده على ما اختار ، ولم يجبره على اعتزال المرأة جبراً ، فلا يجب له حمد ولا أجر .

وليس لله ، جل ثناؤه ، يفعلُ فعل العباد من الطاعة ، ولا من المعصية ، ولا يجوز ذلك ، ولا يكون أبداً ولا كان فيما مضى[2]؛ لما فى ذلك من فساد الحكمة ، ووجوب القهر والختم .

وقد احتججنا عليك فى ذلك ، بما جُزءٌ منه فيه يكفى، من عقل وانصف، وخاف

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٢) فى الأصل : معنا .

عـذاب الآخـرة : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ ١٢٦ط / لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) / وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾[1]، فسعد من سعد باكتسابه ، وشقى من شقى باكتسابه، لا حتماً ولا جبراً .

قاعـدة :

وقد قالت الحكماء [2]: **استعمال النظر فيما لا يدرك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة الجبر ، جهل وبائن عن الصواب** ، وكـذلك **استعمال الجبر فيما لايدرك علمه من دين الله ، عز وجل، إلا من جهة النظر ، جهل وبائن عن الصواب .**

فليتـق الله من نظـر فى كتابنا هذا ، وليُعمل الفكر فيه ، فإنَّ الإقـدام على النـار ، الخطر العظيم ، وما بعد الحق لا الضلال ، والله ولى المتقين .

***

التكليـف قـدر الطاقـة :

ثم قال **عبدا لله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم عمن ذكر الله ، عز وجل ، فى الكتاب أنهم لايعلمون ولايعقلون ولايبصرون ، أحق ذلك من الله؟

فان قالوا : نعم . فقل : كيف وأنتم تزعمون أنهم يعلمون ما يعلم الأنبياء ، والله يصفهم بغير ذلك؟ . .

وأنهم إن قالوا : إنهم لا يدركونه إلا بالفعل حتى يفكروا . . فقل : أفليس توسعون لهم حتى يكفروا ؟ . . وإلى أى وقت يفكرون ؟ . . كم هو ؟! أساعة أم ساعتان ؟ . .

فإنهم لن يفيدوا لك أيضاً هذا ؛ لأنهم إن وسعوا له ساعة ، وسعوا له ساعتين أو يوماً وسعوا له يومين ، وليس لهذا وقت عندهم . . وسيفرّون من هذا الكلام ، واعلم

---

(١) سورة هود : الايات ١٠٣ – ١٠٨ .

(٢) يعنى الفلاسفة المسلمين . . أهل النظر من المتكلمين .

أنك لن تسألهم عن شئ، أشد عليهم من هذا وأشباهه ، ولأنهم يقولون : لا يكلفُ اللهُ الناسَ إلا ما يستطيعون .

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما وعلى آبائه الطاهرين : إن الله ، تبارك وتعالى ، أعطى [١] خلقه الاستطاعة التى ركبها فيهم ، **من الحواس الخمس ، والعقول التى بها يعرفون الخير من الشر ، والحق من الباطل ، والصواب من الخطأ** ، ثم **أرسل إليهم الرسل** ، وأنزل عليهم الكتب ، وافترض عليهم الطاعة ، وندبهم إلى الجنة وحذّرهم النارَ ، وأحبَّ لهم النجاة ، تخييراً لا قسراً ، ولا جبراً ، وكذلك حكمته فى الأولين والآخرين ، أنه أمر تخييراً ونهاهم تحذيراً ، فلم يطع كرهاً، ولم يعص مغلوباً ، ولم تقسر القلوب على طاعته قسراً ، ولم يحملها على طاعة جبراً .

بل الواجب عليهم أن ينصتوا للرسل ، ولما جاءت به ، فينظروا بعقولهم فى قولهم، فيأخذوا الحسن، ويتركوا القبيح ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ (١٨)** ﴾[٢] .

فلم يخرج فى حكمة الحكيم ، أن يحمد أحداً من الخلق ، على فعله وخلقه هو ، وإنما حمدهم وأثنى عليهم بفعلهم ، ووجبت لهم الهداية منه ، أن سماهم مهتدين ، أى حكم لهم بالهدى ، وأسماهم به لا أنهم جبروا عليه جبراً ، فأى أجر لمجبورٍ ، أو حمده لمكر ؟!!..

كما قال سبحانه : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا....** ﴾[٣]، ثم قال : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ** ﴾[٤]، **كل ذلك جعل حكم وتسمية لا جعل قهرٍ وجبرٍ** .

ولو كان كذلك ، لم يكن للأئمة الذين يهدون بأمره ثواب ولاحمد ؛ لأنه أكرههم

---

(١) فى الأصل : أعطا .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ١٧ - ١٨

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٤١ .

، ولا يكون على الأئمة الذين يدعون إلى النار عقاب ولاذم ؛ لانه أكرههم أيضاً وجعلهم دعاه الى النار ، وقد قال الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

٢- وأما قولك في التفكر : فلعمري لقد قال الله ، عز وجل : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[2].

والهداية من الله ، عز وجل ، لا تجب ولا تكون لكافر ، معرض عنه ، بعيد غيره ، ويأكل رزقه، ويجعل له الصواحب ، والأولاد والشركاء والأضداد ، فيجبره على الطاعة، ويميل قلبه الى الهدى، من قبل أن يكون هو الراغب في الهدى ، والمقبل إلى الطاعة .

لأن مثل ذلك مثل رجل وقع في بئر ، فأشرف عليه الناس ، فقالوا له : اخرجُ . فقال: لست اخرج حتى تدلوا إليَّ حبلاً أخرج به ، وإلا فلستُ أخرج أبداً ، وكذلك الكافرُ ، عندكم في قولكم ، لا يخرج من الكفر أبداً ، حتى يجبره الله على الهدى ، أو يمدَّه بالقسر والإكراه لقلبه ، وهو في غاية الكفر ، وغاية الضلال ، والإعراض عن خالقه، وهو غير مستوجب من الله ، عز وجل ، للرشد ولا مستحق للهدى ، ولا المعونة ولا الرحمة .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[3]، ولم يقل إنها قريب من المشركين ، وقال : ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[4]، ولم يقل فساكتبها للذين يشركون ، قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[5].

فان قلتم أيها المجبرة : إن الكافر لايقدرُ أن يخرجَ من الكفر، حتى يكن الله ، جل ثناؤه، هو المخرج له من الكفر بالجبر والقسر ، ويجعل في قلبه الهدى، جبراً وإكراهاً. لزم في المعقول أنه لا حمد لمكره ، ولا لوم على عاص مدحورا!..

---

(١) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٨ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ٥٦ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٥٦ .

(٥) سورة النازعات : الآيتان ٤٠ - ٤١ .

ولم يكن لإرسال الرسل معنى ، ولا لإنزال الكتب بأمر ونهى ، وتحذير وتخويف ، وترغيب وحض وزجرٍ . فلا معنى لذلك .

مقالة الأمم على رسلهم فى ضوء المفهوم الجبرى :

ولكان من حجج الأمم على رسلها ، أن تقول لها - حجة قاطعة تفلج بها الرسل :-

"أيها الرسل إنّ أمرنا ليس فى أيدينا منه قليل ولا كثير ، لا نقدر من أنفسنا على طاعة ولا معصية ، ولا نملك لأنفسنا هدىً ولا غياً ، فاذهبوا إلى ربكم ، فاسألوه أن يخلى سبيلنا ويجعل لنا طريقاً ، حتى نُسلم ونتبعكم .

١٢٧ظ/ فإنه ليس لقوله : ﴿ **فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾** ﴾[١]، معنى ، وقد علم / أنه قد حال بيننا وبين الإيمان ، وكذلك فلا معنى لقوله : ﴿ **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ** ﴾[٢]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾[٣]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴿١٣١﴾** ﴾[٤]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **ذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾** ﴾[٥]، وكذلك لا معنى لقوله : ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾[٦] . فكان هذا القول من حجة الكفار على الرسل.

ثم قالوا لهم : فلا نجدُ لإرسالكم معنى ، وقد حال ربكم بيننا وبين الطريق ، ولم يوجدنا فسحة إلى سبيل ، ولم يرد منا أن نؤمن ، لأنا إنْ آمنا ، كما قال غيرنا، **وكما قال كبيرنا عبد الله بن يزيد البغدادى - كان ذلك الإيمان إبطالاً لعلمه** ، وقد ذكرانه قد أرسلك إلينا ، يا محمد كافة كلنا ، بعد ما أراد أن يكون بعضنا مؤمناً وبعضنا كافراً ، على ما قال شيخنا **عبدالله بن يزيد البغدادى**، وإخوانه المجبرة!!..

---

(١) سورة الإنشقاق : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣١ .

(٥) سورة طه : الايتان ٤٣ - ٤٤ .

(٦) سورة يس : الاية ١٤ .

فكيف تدعوننا أيها الرسل إلى الإيمان ، وتسفكون دماءنا ، وتغصبون أموالنا ، وذرارينا ، وليس نقدر على الإيمان بحيلة ، لأن الله أراد منا أن نكون كفاراً ، ولوآمنا لبطل علمه؟!.

ثم نحن من بعد هذا نقتلكم يا معشر الرسل والأئمة من أولادكم ، وهو الذى قضى علينا قتلكم ، وخلق فعلنا بكم ، وقدَّره علينا وأراده منا ، ثم أنزل فى كتابه يعيِّرُنا ويعنفنا ويعيبُ علينا قتلنا لرسله !!.

ويقول فى كتابه : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[1]، وبعد ما قال : ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

فلمَ عابَ علينا قضاءَهُ الحق ، وكل شئ فى الأرض ، زعمت المجبرة ، بقضائه وقدره، وفعل مخلوق لفاعله ، لاحيلة فى تركه ولا نقدر على الخروج منه؟!.. فكيف تطلبون منا ، يا معشر الرسل، ما لا نقدر على تركه، ولا نقدر على الخروج منه ؟..

ونحن ، يا معشر العرب ، فيقول الشاعر منا الشعر ، فلا يقبلُ منه (معناً) [3] و(لفظاً) [4] لا معنى فاسداً ولا كاملاً مستحيلاً ، حتى يستقضى فيه، ويبعد منه التناقض ، ويسقطُ شعرُهُ إذا أخطأ ، ويقدم عليه غيره من الشعراء .

فكيف نقبلُ منكم ، يا معشر الرسل ، كتاباً سماوياً - زعمتم - نجده نحن متناقضاً ، يفسد بعضه بعضاً ، فانصفوا ، ففى النصفة تجب الحجة ، ويغلب الحق ، ويصح لنا صدقكم ، وتلزمنا طاعتكم ، وقد ذكر ربكم ، أيها الرسل ، فى كتابه أن قضاءه حقو وأنه يقضى الحق ؟!!..

ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[5]، فما هذا التخليط يا معشر الرسل ؟!.. اصحّوا لنا رسالتكم القويمة ، وحكمة ربكم العادل الحكيم ، الذى - زعمتم - فإذا صح عدل ربكم وحكمته ، عرفنا ما تدعوننا إليه وصح الخطاب ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

بيننا وبينكم ، وقام الحق ، وسقطت الدعوى الباطلة، من قولنا وقولكم ، يا معشر الرسل .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

١٢٨و/فما ترى قول عبد الله بن يزيد البغدادى، وأصحابه المجبرة لمن احتج عليهم بهذا الاحتجاج ؟ وما ردهم عليه ، وما ظنهم برد الرسل على الأمم . ما حجتهم عليهم فيما قالوا.. أتراه يقول : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ؟!!.

فإن قال : إن الأمم قد صدقت فى دعواها على الرسل ، واحتجت بالصواب ، كفر بالله العظيم ، وصح كُفره ، وخروجه من فيه الإسلام .

وإن قال : إن الأمم قد كذبت ، ولم تحتج على الرسل بحق ، وأنها مبطلة فى دعواها على الرسل، رجع عن قوله ، وصحَ كذبه ، وبان للخلق أنا قد غلبناه وقطعنا حجته ، وبانت فضيحته ، وأنه يلزم المجبرة أن الذى ادعت باطل ، بصحة القرآن ، وأنه لايتناقض ، وبطل دعواهم ، وأنه قد أكذب أهل مقالته ، وشهد عليهم بالتكذيب .

لمَ أخطأ المجبرة :

وإنما جاء غلط عبدالله بن يزيد البغداى ، وإخوانه من المجبرة ، وأعجابهم برأيهم ، من قلة علمهم بمعانى القرآن ، وجهلهم بالتأويل ، وتعلقهم بالمتشابه بصحة التأويل من علم أهل العلم بشواهد الحق ، وتصريف اللغة العربية وأنه لم يعرف الحقائق فى الكلام من المجازات، ولم يأخذ الحق من معدنه ، وإنما دان بالتقليد ، وكذلك إن من تحته (كفروا) بتقليدهم له ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

أهمية المنهج اللغوى فى فهم القرآن :

ونحن نساله الان : ما مخرج قول الله ، عز وجل حيث يقول : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[١]، وقوله : ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٩

خَادِعُهُـــــمْ ﴾[1] هذا على حقيقته أم على مجاز كلام عربى يحتمل التاويل؟!.

الحقيقــة والمجاز:

فإن قالوا : إنه على حقيقة لا مجاز فيها ، ولا يحتمل التاويل ، لزمه أن ربه يستهزئ كما يستهزى السفهاء ، ويسخر كما يسخر السخفاء ، ويخدع كما يخدع الضعفاء !.

وإن قالوا : إن هذا القول على مجاز الكلام .. قلنا له : هذا هوالحق ، وله تاويل جهلته ، وقد رجعت عن قولك ، وكذلك جهلت قوله الذى احتججت علينا به ، فى قولك : ﴿ لايعلمون ، ولا تعقلون ، ولايبصرون ﴾ . ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾[2] ، له تاويل كما لهذا تاويل غلطت فيه ، لأنهم لو كانوا لا يعلمون ولا يعقلون ولايبصرون ، لسقطت عنهم الحجة ، كما سقطت عن الأطفال والمجانين ، إلا أن كلامك على اتباع الهوى والإعجاب ، لا نذير للكتاب ، ولا تتفكر فى الصواب .

تأويـل آيـات الصفات الخبريـة :

ثم نسالك أيضاً عن اعتقادك فى التوحيد ؛ لأنك تقول : زعمت - أنك موحدٌ، ومحالٌ ما أنتم كذلك!.

فنقول لك : ما قولك فى قول الله ، عز وجل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾[3]، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥ ﴾[4]، وقوله : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾[5]، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۝٣٩ ﴾[7]، وقوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[8]، وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤٢ .
(٢) سورة النجم : الآية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .
(٤) سورة طه : الآية ٥ .
(٥) سورة غافر : الآية ١٥ .
(٦) سورة القمر : الآية ١٤ .
(٧) سورة طه : الآية ٣٩ .
(٨) سورة القلم : الآية ٤٢ .

١٢٨ظ/ مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾ ﴾[١]، وقوله / : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢]، هل هذا القول كله الذى نراه يلزم التشبيه على الحقيقة (و) لا تأويل له ؟ أم هو على مجاز الكلام ، قول عربى يجب تأويله وإلا لزم التشبيه ؟!!.

فان قلت : إنه على الحقيقة لا تأويل له . لزمك التشبيه لخالقك ، وخرجت مما ادعيت من التوحيد ، الذى قلت به ، وفلجك المشبهة .

وإن زعمت أنه على مجاز الكلام ، له تأويل فى اللغة العربية ، إذ لا يسعك غير ذلك ، وإن لا ، شبهت وكفرت .

قلنا لك : فكذلك يلزمك أن للآيات المتشابهات ، اللاتى تعلقت بهن المشبهة ، تأويلاً فى العدل ، على الحقيقة والخروج من الجبر ، وأنها مجاز كلام لم تعقله أنت ، ولا إخوانك المجبرة ، ولم تهتدوا إلى القول فيه على الله ، جل ثناؤه ، بالعدل ، فإن أنكرت التأويل حميَّة وتعززاً ، أنكرت عليك المشبهة تأويلك فى التوحيد ، ولزمك مثل ما تدعى ، ولا مخرج لك من هذا الباب ، بحيلة محتالٍ .

فكيف ما قلت فخذك الأسفل ، وحجتك الفاسدة ، والحمد لله رب العالمين .

***

فى التكليف وشرائطه :

وأما قولك فى تكليف العباد ، فالتكليف لازم لكل بالغ وبالغة من ولد آدم ، ممن صحَّ عقله وبدنه ، وقد قسَّمَ الله ، عز وجل ، عليهم ، بفضله ، النعم التى تفضل بها عليهم ، **فعلى قدر صحة العقول والجوارح والحواس ، يلزم التكليف .**

ومن زال عنه شئ من ذلك ، كان التكليف على قدره ، وإن زالَ الأمر كله ، سقط التكليف كله .

والعجب لك ، لم سميته تكليفاً ؟!.. وإنما أصل قولك أنهم جبروا جبراً ، وخلقت

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٣ .

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

أفعالهم ، والمجبور والمخلوق فعله ،ليس هو مثل المكلف ، الذى إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، وقد أعددت التفضيل لبعضهم على بعض ، وأكثرت إعادة الكلام ، الذى لا وجه له ، ويجزؤنا فيه المعنى الواحد ، عن تكريره للمعانى ، التى تقتضى وجهاً واحداً .

وإنما مثلك فى كتابك الذى وضعته على أهل العدل ، وزخرفت فيه الغرور لأصحابك ، ومنَّيتهم الأباطيل ، وأعلمتهم أن أهل العدل لا يقدرون لهم على دفع ، ولا كسر حجة ، وفى كل مسألة [1] تقول إن أهل العدل يفرونَ عن كلامك هذا ، وأنتم تقطعونهم من هذالموضع ، ، وهذا من أشد ما تسألون عنه ! . . فكان مثلك فى ذلك مثل زق منفوخ لا شئ منه ، إلا الرياح ، ثم عمد إليه رجل بإبرة فمخرقُه بها ، فانفشَّ جميع ما فيه ، والحق فأجل وأشرف من أن يخفى [2] على العقلاء ، وأهل التمييز والنظر ، وقد رددنا عليك من الحق ، ما فيه الشفاء لكل مسلم .

١٢٩و/ ثم نقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ / الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ③ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ④ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ⑤** ﴾[3] !! . .

فنقول لك **ياعبد الله بن يزيد البغدادى** : إن هذه الكلمة خلق الله ، عز وجل ، وصنعه ، وإرادته أم لا ؟!.

فإن قلت : إنها خلق لله ، عز وجل ، صنع وإرادة . . لزمك أنه غضب من خلقه وصنعه وإرادته .

وهذا خروج من الحكمة ، ويجب أنه عذَّب على ذلك ، بعدما قال : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ㊴ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ㊵ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ㊶** ﴾[4] .

---

(١) فى الأصل : مسلة .

(٢) فى الأصل : يخفا .

(٣) سورة الكهف : آيات ١ - ٥ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٩ - ٤١ .

ثم نقول لك : وأخبرنا لم قال : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾، مستعظماً لها ومستقبحاً ومستشنعاً ، وهو الذى خلقها وأرادها وصنعها ، أهكذا[1] يكون الحكيم الذى لا يظلم ؟!!.

وإن قلت : لا أقول ذلك ، رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا . .

ثم نقول لك : ما الفرق بين قوله فى عيسى ، عليه السلام ، أنه كلمته ألقاها إلى مريم ، وذكر فى كتابه أنه كلمةُ له ، خلقهَ وصنعه وأراده ؟

الكلمة (عيسى) بين مراد منها الله ومقالة الكفار :

والدليل على أن عيسى كلمته ، قوله ، عز وجل ، ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾[2]، وقال أيضاً : ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[3]، فنقول لك : ما الفرق بين هذه الكلمة المعنى بها عيسى ، عليه السلام ، وبين الكلمة الكبيرة عندالله ، عز وجل ، التى خرجت من أفواه الكفار ، الذين قالوا : أتخذ الله ولداً؟!.

فإن أدعيت فرقاً بينهما ، غير أن الله ، فى زعمك ، هو الذى خلقهما وصنعهما وقدرهما وأرادهما ، لم تقدر على ذلك بحيلة محتال ، ولا بوجه من الوجوه ، لما زعمت إن الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الكلمتين وأراد المعنين .

فيلزمك عند انقطاعك عن الفرق بين الكلمتين ، أن القوم الذين قالوا : أتخذ الله ولداً ، إنما غضب الله عليهم ، وعاب فعلهم ، وحكى[4] لنبيه ، صلى الله عليه ، عظيم كفرهم ، وأوجب عليهم فيه عظيم العذاب الأليم المقيم ، وأنه لم يكن فى خلقه لعيسى وجعله إياه كلمةً ، غضب منها على أحد ولا عيب ، ولا استعظام ولا عذاب مقيم .

فكلاهما ، زعمت ، كلمة لا فرق بينهما خلقهما الله ، عز وجل ، ووضعهما –

---

(١) فى الأصل : اهكذى :

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١

(٤) فى الأصل : حكا

على زعمك - فعذب عباده على واحدة وغضب منها ، ولم يغضب من الاخرى ، ولم يعذب عليها ، وهما سواء فى الخلقة والصنعة والإرادة ! . . **فأين العدل والحكمة ، والإرادة فى هذا الباب ؟!..**

بينه لنا وميّزه ، إن كنت من الصادقين ، أوارنا الفرق بينهما ، إن كنت من المهتدين! . . ولا تجد فرقاً بين ذلك أبداً .

وهذه قاطعة لحجتك ومدحضة لقولك ، إلا أن ترجع فتزعم ، إن الكلمةَ التى غضبَ الله منها ، وعذب عليها ، إنها هى إرادة الكفار ، وقولهم باختيارهم، لا صنع الله ، جل ثناؤه ، وأن عيسى كلمته وخلقه ، لا تباعة على أحد فى ذلك ، وهذا هو ١٢٩ظ/ الحق ، وهو دين الله الذى / لا مخرج لمسلم منه ، ومن قال بغيره كفر ، ووجب عليه العذاب ، والحمد لله رب العالمين .

ثم نقول لك أيضاً : أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، للكفار : ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾** ﴾[1] . . فنقول لك : أرأيت إن ردُّوا عليه فقالوا : ذلك بما خلقتَ من أفعالنا وأردته من كفرنا وقدرته وقضيته . . هل يكذبون فى هذا الجواب أم يصدقون ؟

فإن قلت : إنهم يكذبون . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل .

وإن قلت : إنهم قد صدقوا فى هذه الدعوى ، فى قولهم إن الله ، عز وجل ، خلق أفعالهم وقدرها وقضاها وأرادها .

قلنا لك : فقد أكذبك الله ، جل ثناؤه ، ووجدنا القرآن بشهدُ بخلاف ما قلت ، من إقرارهم على أنفسهم ، وإبرائهم لخالقهم واضافتهم الظلم والمعاصى إليهم ، لا إليه، عز وجل ، حيث قالها : ﴿ **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾** ﴾[2] ثم قال : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾** ﴾[3]، فعجَّب نبيه، صلى الله عليه ، كما تسمع ما لهم عن التذكرة معرضين ! . . . لعلمه أنه لا حائلَ بينهم، وبين التذكرة .

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٤٣ - ٤٨ .

(٣) سورة المدثر: الآية ٤٩ .

فما تقول لو ردوا عليه فى هذا الموضع، حين قال لهم: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾. فقالوا : أنت بنا ، لولاك لعرفنا رشدنا .. هل يصدقون فى الحجة أم يكذبون ؟!..

فان قلت: صدقوا.. لزمك أن حجتهم وحجتك ، أقوى من حجة الله، عز وجل!!..

وإن قلت : كذبوا . رجعت عن قولك !.

مثال لرجل لاقدرة له يعنى لااستطاعة له :

ثم نقول لك أخبرنا : ماتقول فى رجل من المسلمين خرج غازياً للروم فى بلدها ، فحاربهم وقتاً ، ثم إنه وقع فى أيديهم ، فأخذوه أسيراً فوضعوه فى الحبس والحديد ، فلما دخل شهر رمضان ، عرضوا عليه الدخول فى النصرانية ، والقول بأن المسيح ابن الله، فكره ذلك وامتنع عليهم منه.

فلما امتنع أخذوه ، فربطوه فى الحبال ، وغلُّوا يده إلى عنقه ، ثم أخذوا المغْرى الذى يعُغِّية الصبيان ، وهو المسعط [١] فى لغة العرب ، وأوجروه [٢] الخمر كرها ، وهو مضجع [٣] ، لا حيلة له فى نفسه ، ولا دافع عنه ، ثم جعلوا يسقونه إياه ، وكذلك وَدَك [٤] الخنزير ، فلم يزل على ذلك سنةً على تلك الحال ، حتى إذا لم يبق من السنة إلا يوم واحد أطلقوه .

فنقول لك ، ولمن قال بقولك : أليس قد علم الله ، عز وجل ، أنه قد فعلوا به ذلك الفعل ، فأكرهوه على شرب الخمر ، وودك الخنزير، حين أوجروه إياه كرها ، وهو لا حيلة له فى نفسه ؟!..

فإذا قلت: نعم ، قد علم الله ذلك منه ومنهم.. قلنا لك: فهل على هذا الرجل لله، عز وجل، فى ذلك الذى أكره عليه، حجة أو تباعة.. أو هل يجب عليه عذاب أم لا؟!.

---

(١) فى القاموس وعاء السعوط .

(٢) صبوا الخمر فى حلقه طبّاً .

(٣) ملقى .

(٤) سمن الخنزير

فإن قلت : نعم عليه حجة وذنب ، وعذاب وتباعة ، كَذَّبَكَ جميعُ المسلمين ، وخرجتَ من الحق والمعقول .

١٣٠و/ وإن قلت : لا / حجة عليه ولا ذنب . قلنا لك : صدقت ؛ لأن الحجة عليه ، فيما علم يقدر عليه .

مثال له عند القدرة يعني عند الاستطاعة :

ثم نقول لك أيضاً : أرأيت هذا الرجل بعينه شرب الخمر ساعة واحدة، أو جرعة واحدة بطيب من نفسه ، واتباع هواه ، أليس قد علم الله ، عز وجل ، ذلك من فعله؟

فإن قلت : لم يعلمه .. كفرت .

وإن قلت : إنه قد علمه .

قلنا لك : فهل يعاقبه على شرب تلك الجرعة وحدها أم لا يعاقبه ؟

فإن قلت : أنه لا يعاقبه .. أبطلت وعد الله ، عز وجل ، وخالفت المسلمين ، وخرجت من الكتاب .

وإن قلت : أنه يعاقبه بشربه للخمر ، واتباع شهوته في تلك الجرعة .

قلنا لك : فكيف يعاقبه في شرب سنته كلها على ما شرب ، وصار في بطنه من ودك الخنزير ، ويعاقبه على شرب جرعة في ساعة من نهار عمداً؟!.

فإن قلت : إن الروم أكرهوه على ذلك ، فلم تلزمه عقوبته ؛ وهو اختار الشرب لنفسه في هذه الساعة الواحده، فلذلك لزمته العقوبة .

قلنا : فقد لزمك الآن أن ليس علم الله ، عز وجل ، يثيبُ العباد ولا يعاقبهم ، وإنما يثيب ويعاقب على ما فعله العباد بأنفسهم ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا .. ﴾[1] .

وبطل قولك ، أنت وأصحابك ، في اعتلالكم علينا بعلم الله ، جل ثناؤه ، أن من

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧ .

قبل علمه ، كان الفساد عليهم فى أديانهم ، وأن بالعلم ضلوا ، زعمتم ، وهلكوا ، وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً .

والواجب على من سمع كتابنا هذا ، أن ينعم النظر فيه ، وليذكر وقوفه بين يدى الله ، عز وجل ، فأى القولين كان الحجة فيه أغلب وأوكد ، وأقوى فى كتاب الله عز وجل ، فليتبع الحق من ذلك ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، والحمد لله رب العالمين .

***

احتج المجبر بقوله : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾

ثم قال **عبدالله بن يزيد البغدادى** : ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : **﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾**[1] ، **﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾**[2] ، وأشباه هذا فى كتاب الله ، عز وجل ، وليس لهم فى وجه أخذوا فيه من الوجوه راحة .

فالزم كل مسألة [3] على وجهها ومعناها وحدها ، فإنهم لن يفيدوا لك حينئذ وجهاً ، خالفوا فيه العدل ، وسنردهم إلى قولك ، أو تنكسر عليهم وجوههم التى وضعوها ؛ لأنها جاءت من غير الله ، عز وجل .

رد أحمد بن يحيى وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾ :

الجواب قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله (عليه) [4] ، وعلى آبائه الطاهرين .

١ - وسألت عن قولك الله ، عز وجل : **﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾** ، وظننت لجهلك باللغة ، وعجزك عن العلم بتصريفها فى اللسان العربى عند العرب ، الذين خاطبهم رسول الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وسلم ، وذلك قول الله ، جل ١٣٠ط / ثناؤه ، : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ / قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾**[5] ، وقال :

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٢) سورة هود : الآية ٢٠ .

(٣) فى الأصل : مسله .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) سورة إبراهيم : الآية ٤

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾[1]، وقال الله ، عز وجل ، يحكى عنهم يوم القيامة : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[2]، يعنى ، تبارك وتعالى، وبذلك كانوا لا يبصرون الحق ، ولا يميلون إليه بقلوبهم ، ولا يريدونه بشئ من حواسهم ، ولا يصغون إليه باذانهم ، ولا يريدون أن يسمعوه باختيارهم، وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه ، وهم فى ذلك يقدرون أن يسمعوا وينصتوا إليه ، لو أرادوا ؛ لأن الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، لم يحل بينهم وبين الاستماع ، وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (١٩٨) ﴾[3]، وفى موضع آخر : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ.... ﴾[4] ، يعنى ما أسمعهم وما أبصرهم مثل ما تقول العرب ، أكرم بفلان . أى : ما أكرمه ، وقوله ، عز وجل ، يعنِّفُ الكفار ويعجِّبُ نبيه ، عليه السلام ، من كذبهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) ﴾[5]، فلو كان فى آذانهم وقر ، لم يسمعوا دعاء النبى ، صلى الله عليه ، لهم إلى الاسلام، ولم يجز أن يخاطبوه ولا يردوا عليه هذا القول ، وهم لم يسمعوا قوله حين دعاهم ، فهذا أوضح شاهد عليك .

وقال الله ، عز وجل ، فى أهل النار : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾[6]، فإن كان هذا القول على ظاهر الآية ، أهل النار لا يسمعون ، عندكم أيها المجبرة ، فهو خير لهم أن لايسمعوا ما فيها من البلايا والأهوال ، والأصوات المنكرة والمكروهة ، وأصوات السلاسل والأغلال ، وفيها من الأنكال .

فإن قلت : إنهم فيها لايسمعون . وحقَّقت ذلك ، لانْ يجوز كذلك ... أكذبك الله ، جل ثناؤه ، فى القرآن المبين ، حيث يقول ، يوجبُ أنَّ أهل النار يسمعُ بعضهم بعضاً ، فقال : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٩٨ .

(٤) سورة مريم : الآية ٣٨ .

(٥) سورة فصلت :الآية ٥ .

(٦) سورة الانبياء : الآية ١٠٠ .

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾[1]، فقد صح وثبت أن هذا قول من يسمع بعضهم عن بعض ، ولو كان لا يسمعون فيها شيئاً من الرحمة ولا الخير .

وقوله : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾[2] ، وإنما يعنى بذلك أنهم لا يريدون استماع الحق ولا الرغبة فيه ، ولم يستعملوا استطاعتهم فى طلبه ، كما قال ، جل ثناؤه ، : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾[3]، والله جل ثناؤه ، لايُذكر بالأعين ، وإنما يذكر بالألسن ، وهذا دليل على أن القوم المجبرة ، إنما هلكوا فى الدين من جهلهم ،بمعانى اللغة العربية ، وأعراضهم عن الأئمة الذين ١٣١و/ استخلفهم / الله ، عز وجل ، على عباده وبلاده ، وجعلهم ورثه لنبيه ، صلى الله عليه وعليهم .

٢- **ومن الحجة على ما قلنا فى معرفة اللغة العربية** ، قول الشاعر :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياةَ لمن تنادى [4]

يعنى بذلك الأحياء الذين لا يريدون استماعه ، ولا القبول عنه ، فقال : ولكن لا حياة لمن تنادى ، وفيهم الحياة موجودة ، فافهم معنى اللغة العربية ، كيف تتصرف .

ثم قال فى صفة سمع الميت الجائز عند العرب فى لغتها ، وما يروى عن **قيس بن عاصم التميمى، ثم المنقرى** [5] ، وهو الذى وفدَ على رسول الله ، صلى الله عليه ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه ، هذا سيدُ أهل الوبر ، فلما حضرته الوفاة دعا

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١

(٢) سورةالكهف : الآية ١٠١

(٣) الآية نفسها .

(٤) البيت : لم أجده فى المصادر .

(٥) **قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى** ، أبو على : أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعراً ، اشتهر وساد فى الجاهلية . وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، ووفد على النبى ، ﷺ ، فى وفد تميم (سنة ٩هـ) فاسلم، وقال النبى ، ﷺ ، لما راه : هذا سيد اهل الوبر!.. واستعمله على صدقات قومه . ثم نزل **البصرة** فى أواخر أيامه ، وروى أحاديث ، وتوفى بها نحو (سنة ٢٠هـ) .. انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٥/٢٠٦، وكذلك الإصابة لابن حجر ت ٧١٩٤ ، وأخباره فى خزانة الأدب للبغدادى ٣/٤٢٨ . وغيرها من كتب التراجم والأدب

بناته وخاصته ، فقال لهم : لا أسمعن من يندبنى ويبكى علىٌ بعد موتى ، فجاز هذا فى لغة العرب ، والميت لا يسمع بكاء ولا غيره .

لا أســمعنك بعــد المــوت تندبنى وفــى حــيــاتى مــا زوّدتنى زادا

وقال عمارة بن عقيل التميمى [1] يحض قومه على المواصلة ، وترك القطيعة .

فدَوُنكمــا يا بنــى نــــزار تلاقيــــا كما لفــقَ الــبردُ اليمانىُّ بالبردى

ولا تسمعانى الزورَ فى الهام هامتى ترا ميْكما بالنبل ويحكما بعدى .

فقال : ولا تسمعانى ترامكما بالنبل ويحكما بُعدى ، وهو قد علم ، وعلمت العرب ، أنه لا يسمع بعد الموت ، ولكن جاز ذلك فى لغة العرب ، التى لا يقوم بمعرفتها إلا أهل العلم .

وإنما غلط هؤلاء المجبرة فى دينهم ، فكذبوا على ربهم ، وألزموه ذنوبهم ، وخلق أفعالهم لجهلهم بما ذكرنا من لغة العرب ، ومعانى القرآن الذى خاطب به رسول الله ، صلوات الله عليه ، قومه الفصحاء البلغاء ، فافترت المجبرة على الله ، عز وجل ، وتأولوا كتابه على مبلغ عقولهم ، وتعلقوا بالمتشابه الذى لا علم لهم بتأويله ، وزعموا أنهم أتوا فى ذنوبهم ، ودخل عليهم البلاء من قبل ربهم ! . . . وكذبوا عليه ، سبحانه ، وزعموا أنا نحن المفترون عليه ، عز وتعالى .

السمع فى الآخرة بين الحقيقة والمجاز:

٣- ومن الحجة عليك فى اعتلالك علينا بقول الله ، عز وجل : ﴿ وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) ﴾ [2] فنقول لك : ما تقول فى قول الله ، عز وجل ، بخبر عن أهل النار إذ قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾ [3]، أتقول إن هذا القول على حقيقته لا ١٣١ظ/ مجاز له ولا تأويل فيه، وتقول إنهم صم لا يسمعون/ قليلاً ولا كثيراً؟! . .

---

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبى اليربوعى التميمى ، شاعر مقدم ، فصيح . من أهل اليمامة . كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بنى العباس فيجزلون صلته ، وبقى إلى أيام الواثق . وعمى قبل موته ، وهو من أحفاد جرير الشاعر ، وكان النحويون فى البصرة يأخذون اللغة عنه ، توفى سنة ٢٣٩هـ . انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى ٥/ ٣٧ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٠١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠٠ .

أكـذبك ، عز وجل ، حـيث يقـول : ﴿ وَإِذْ يتحاجُّون فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) ﴾[1]، وليس بدٌّ للمتحاجين أن يسمع بعضهم بعضاً ، وكفى بهذه الحجة فاضحة لك .

٤- ومـن الحـجـة عـليك أن نقـول لك . أخـبـرنا عن قـول الله ، جل ثناؤه ، لنبـيـه محـمـد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حين قال له يعـاتبه على إذنه للقـوم الذين أذن لهم فـقـال : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) ﴾[2].

فنقـول لك : هل كـان رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، يستطيع ويقدر أن لا يأذن لهم ؟!..

فإن قلت : نعم .. لزمك أنك قد رجعت عن قولك ، **وبطل قولك أن الاستطاعة مع الفعل** ، وصرت إلى الحق وهو قولنا .

وإن قلت : إن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، لم يكن يستطيع ولا يقدر أن لا يأذن لهم ، إلا مع الفعل ... لزمك أن الله ، عز وجل ، قد عاب عليه ، وعنَّفه فى أمر ، لم يكن له عليه استطاعة ولا يقدرهُ ، وهذا أعظم الجور، وأردَّه للقرآن ، إذ يقول: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[3]، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾[4].

ثم نقول لك أخبرنا عن قول الله ، عز وجل ، لنبيه **داود** ، صلى الله عليه : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[5]. أليس قد قال ، عز وجل ، هذا القول لـداود ، صلى الله عليه ؟

---

(١) سورة غافر : الآيتان ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٥) سورة ص : الآية ٢٦

فإن قلت : نعم . قلنا لك : فهل أمرهُ الله من الحكم بالحق ، وترك الهوى، بما يقدر عليه وهو يملكه [1] ، وهو له مستطيع قبل فعله ؟

فإن قلت : نعم .. تركت قولك ، وصرت إلى قولنا .

وإن قلت : لا لم يكن داود يستطيع الحكم بالحق ، ولا ترك اتباع الهوى ، إلا مع الفعل لذلك .

لزمك أن الله ، عز وجل ، قد كلف داود ما لا يطيق ولا يملك ولا يقدر عليه ، وليس موجوداً فى بنيته ، وأن قوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ باطل لا يصحُّ ، وليس له حقيقة ! .. وهذا اعظم الكفر ، والخروج من الإسلام جملة .

ثم كذلك يلزمك جميع ما أمرت الأنبياء من هذا النحو ، على الأمر لها بالفروض اللازمة لها وللأمم ، ولو كان هؤلاء القوم الذين ذكرت أنهم لا يستطيعون سمعاً ، على ما توهمت، وذهبت إليه من الجبر والفرية على خالقك ، جل ثناؤه، لما لزمتهم لله ، عز ١٣٢و/ وجل ، حجة ، ولاكانت عليهم له مطالبة ، إلا أن تقول : إن الأصم ./ تلزمه الفرائض التى من طريق السمع !..

فإن قلت : كذلك .. أكذبك جميع أهل القبلة ، لأن الأصم لا حجة عليه فى الفرائض ، التى هى من قبل الأمر المسموع من القرآن ، وغيره مما لا يدرك فى الدين إلا من جهة السمع ، وكفى عليك بهذا القضاء ، فضيحة فى دينك ، فقد بان خطاؤك وغلطك ، فيما سألت عنه ، وذهبت فيه إلى الجبر ، وفارقت أهل العدل .

ولوكانوا لا يستطيعون سمعاً على ما ذهبت إليه ، لبطل قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[2]، ولا يجوز بعثة الرسل إلى من لا يسمع قول الرسل، وهذا واضح لا يقدر له أحد على رد ، وفيه الكفاية الكافية ، والحمد لله رب العالمين .

***

(١) فى الهامش ما يدل على أن هذه النسخة مقابلة على أخرى أقدم منها .. وهذا يدل على أنها مقابلة أكثر من مرة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٥ .

العقد بعد انتهاء العدة :

٥ - **ومن الحجة عليك فى أن الاستطاعة قبل الفعل**، قوله ، عز وجل : ﴿ **وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ** ﴾[١]، ألا ترى أنهم لو أرادوا النكاح ، قبل بلوغ الكتاب أجله ، لأمكنهم ذلك ، ولإمكانة لهم ومقدرتهم عليه ، ووجوده فيهم قبل فعله .

افترض الله ، عز وجل ، عليهم أن لايعزموا على النكاح ولا يفعلوه ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، وهو وفاء العدّة ، وبلوغ الأجل ، وهذا أقطع ما يكون لكم فى قولكم أن الاستطاعة مع الفعل .

قصة ابنى آدم :

٦- ومن الحجة لنا عليك فى الاستطاعة قبل الفعل قول الله ، عز وجل : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)** ﴾[٢]، أفلا ترى أيها المغرور فى دينه ، كيف أخبر الله ، عز وجل ، أن نفسه التى طوّعت له قتل أخيه ، وأن الله لم يرد ذلك ، ولم يخلقه ، ولم يقدّره ، وأن الاستطاعة مع كليهما ، موجودة قبل فعلهما ، مقرين بذلك مصدقين بها .

فنزل هذا القرآن ، غير مكذب بقول هذا لصاحبه « **لأقتلنك** » . لعلمه أنه قادرٌ على قتله قبل فعله ، وقول الآخر : « **ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك** » . لعلمه أنه قادر على قتله قبل فعله ، فلذلك كَفَّ وتورّعَ ، ولوكان يعلم أنه لا يقدر على ذلك ، لم يجز على الله ، جل ثناؤه ، أن يخبر عنه ويصوبه فى فعل ما لا يقدر عليه ، والله ، عز وجل، برئٌ من فعل الذى قتلَهُ ، لذلك صار القاتل ظالماً متعدياً، إذ [٣] لم يكف استطاعته عن الظلم ، واستعملها فى الفساد ، وأمسك الآخر /

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٣) فى الأصل : إذا .

١٣٢ظ / ولم يعجل إلى القتل الذى له فيه استطاعة ، وهو له ممكن من قبل فعله، وهذا خبر الله ، عز وجل ، وهذا كتابه ، ينطق بخلاف قولك أن الاستطاعة مع الفعل ، وفى هذه الآية من الحجة عليك فى إثبات العدل وبراءة [١] الله ، عز وجل، من قتل مظلوماً.

قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾، ولم يقل : فقضيت عليه قتل أخيه ولا إرادته منه ، ولا خلقت فعله ، وكان من ندامته أنه يحمله ، فيما يقال على عاتقه مائة عام ، لا يدرى كيف يصنع ، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢]، ثم قال الله ، عز وجل ، على أثر هذا مثبتاً للعدل ، ومبرءاً لنفسه من الظلم : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا .... ﴾[٣]، أفلا ترى كيف ندم ابن آدم ، ولام نفسه على أنه لم يدفن أخاه ، وقد كان يمكنه قبل فعله ، ومستطيع لذلك ، ولذلك قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي؟! ﴾ ، لعلمه أنه قد كان قادراً مستطيعاً أن يدفن أخاه، ولو كان لا يستطيع دفنه ما قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ ﴾ ، ولا يجوز أن يخبر الله ، عز وجل ، بما لا يكون .

وكيف يتلهف على أمر لم يكن يستطيعه إلا مع فعله ، وكيف يحكى الله، عز وجل، خبراً لا يصح ولايجوز فى العقول، ولا يستطيعه الناس إلا مع فعلهم له؟!..

فاعرف قدر هذه الحجج القاطعة لك ، ففيها كفاية لمن عقل ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : مراءاة.

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٢

أمر الله بالحجاب:

٧- **ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل**، قول الله، عز وجل، ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.....**﴾[١]، ففي هذه الآية دليلان اثنان على أن الاستطاعة قبل الفعل، ألا ترى أنه أمر النساء أن لا يضربن بأرجلهن، لما علم أن معهن استطاعة الضرب بالأرجل، من قبل أن يفعلن، فافترض عليهن أن لا يضربن بأرجلهن، ولو لم يكن معهن استطاعة الضرب بالأرجل، من قبل أن يفعلن، فافترض عليهن أن لايضربن بأرجلهن، ولو لم يكن معهن استطاعة الإمساك عن الضرب بأرجلهن، لم يفترض عليهن أمراً لايقدرون عليه، **وتكليف ما لا يطاق عن الحكيم العادل، منفيٌ**.

وكذلك قوله أيضاً: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ**﴾، فلم يكن ليأمرهم، عز وجل، ويفترض عليهم التوبه من قبل أن يجعل لهم السبيل إليها، ويمكنهم منها.

١٣٣و/ وأكبر الشاهد لنا على / ذلك قوله، عز قوله، عز وجل: ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**﴾[٢]، ويلومهم كما تسمع، على ترك التوبة، التي هي ممكنة لهم، إن أرادوها. فهذا أكبر دليل، وأقوى حجة: ﴿**وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)**﴾[٣].

أهذا ويحك قول من حال دون التوبة والإيمان ؟!.. سبحان الله العظيم.

الصبر عند اللقاء وعدم الإدبار:

٨- ومن الحجة في أن الاستطاعة قبل الفعل، قوله عز وجل، : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥)**﴾[٤]، فهذا يوجب أنهم كانوا يستطيعون أن لا يولوا الأدبار من قبل الفعل، ولولا ذلك ما قال، عز وجل،

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٤.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٥.

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، فلم يكن الله ليغضبَ عليهم ، فى أمر لا يستطيعون إليه حيلة .

٩- **ومن الحجة لنا فى إثبات العدل ، وأن الله** ، عز وجل ، لم يعذب أحداً ، إلا بظلمه وجرمه ، وإثمه وغشمه ، وسوء اختياره ، قوله ، عز وجل ، : ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾[2]، ولم يقل : بما قضيت عليهم ، وقدرت وأردت .

وقد روى عن **كعب الأحبار** [3]، رحمه الله ، أنه قال : قرأت فى الكتب السالفة الأولى ، ومن يظلم يخرب بيته ، فكنت ذلك فينة من دهرى ، حتى بعث النبى محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، فلما سمعت به سرت إليه ، وأسلمت وأقمت عنده ، وتصفحت ما نزل عليه من القرآن ، وطلبت نظيراً لتلك الآية التى وجدتها فى التوراة ، فلم أجد ، فبينا أنا على ذلك ، إذ نزل عليه ، صلوات الله عليه ، هذه الآية ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا** ﴾[4].

فالله ، عز وجل ، لا يؤاخذ أحداً من جميع خلقه ، إلا بعد ظلم وذنب بدأ به هو ، واكتسبه واختاره بعد النهى عنه والدعاء الى غيره من الطاعة ، ولم يرد منهم ، عز وجل ، أن يكفروا ولا أن يدبروا أمره ، ألا تسمع الى قوله نوح ، صلى الله عليه ، : ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾** ﴾[5] ثم قال ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾** ﴾[4]، ثم كان من ردهم عليه ، أن قالوا : ﴿ **لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ** ﴾

---

(١) سورة الانفال : الآية ١٦ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(٣) **كعب الأحبار هو : كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أو إسحاق** : تابعى . كان فى الجاهلية من كبار علماء **اليهود فى اليمن** ، وأسلم فى زمن **أبى بكر** ، وقدم **المدينة** فى دولة **عمر** ، فاخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من اخبار الامم الغابرة، واخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن **حمص** ، وتوفى فيها سنة ٣٢هـ ، عن مائة واربع سنين . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٥ / ٢٢٨ ، وكذا حلية الاولياء لابى نعيم ٥ / ٣٦٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٠٥ .

(٥) سورة نوح : الآيات ٧ - ١٣

الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، أفلا تسمع إلى هذه القول العجيب ، والحكمة البالغة ، وأين هذا من دعواك يا عبد الله بن يزيد البغدادى، وأخوانك المجبرة ، الذى أسندت فيه إلى خالقك ، جل وتعالى ، أنه أراد الكفر من الكفار ، جراءة على الله ، جل ثناوه ، ١٣٣ظ/ وتعامياً عن كتابه ، ومكابرة للعقول ، وميلاً إلى / تقليد الرجال ، بلا حجة ولا بصيرة ، ولا شاهد من كتاب الله ، عز وجل ، إلا ما تعلقت به من متشابه القرآن الذى جهلت تأويله ، فقد علمت ما ورد عليك فى كتابنا هذا ، من الكسر لحجتك، واستشهاد القرآن عليك ، والحجة الواضحة التى لا مخرج لكم منها أيها المجبرة أبداً.

الراسخون فى العلم والتأويل :

وقد قال الله ، تبارك وتعالى ، ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾[2].

فقال قوم : إن الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويل الكتاب .. جهلاً منهم ، وبلى[3]، لعمر الله ، إن الراسخين ليعلموا تأويل الكتاب ، (وما) تحتاج إليه الأمة من أمر دينها ، الذى تعبدها الله ، عز وجل ، به ، ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ فى العلم ؛ لأن من لم يعلم تأويل القرآن لا يجب له اسم الرسوخ فى العلم ، وإن لا ، ففيما رسخ إذا لم يعلم تأويل القرآن ؟!.. فأولئك هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، والراسخون فى العلم ، هم أهل التنزيلُ والتأويل.

العلم فى آل بيت رسول الله :

ولو لم يكن عندهم علم الكتاب ، لما جاز أن يقول الله ، جل ثناؤه ، : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]، والذكر فهو محمد ، صلى الله عليه

---

(١) سورة نوح: الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) فى الأصل : وبلا .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٣ .

وعلى آله وسلم ، دليل ذلك قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ..... ﴾[1]، فصار الذكر هو الرسل ، وهذا ما لا يُدفع ، فصار أهل البيت ، عليهم السلام ، هم المأمور الخلق بسؤالهم ، ولم يكلفوا أن يسألوا عبد الله بن يزيد البغدادى ، ولا عبد الرحمن بن خليل ، ولا عبد الكريم بن نعيم ، ولا مسلمة بن كريمة، ولا عبد الصمد ، ولا المعلّم، ولا لجدة بن عامر ، ولا أبا مروج السدوسى ، ولا فلاناً ، إلا أن يدعى عبد الله بن يزيد البغدادى ، أن[2] هؤلاء النفر الذين سمينا أن جبريل ، صلوات الله عليه ، كان يهبط على جدهم ، وفى بيوتهم قد ربوا بين التنزيل والتأويل ، وغذاهم الرسول ، وناغاهم جبريل ، وتنزيل فيهم من الله ، عز وجل ، : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ... ﴾[3]، فإن صح ذلك فَهُمْ أولى وأحق ؛ وإن لم يصح ، فغيرهم أولى بالمقام ، وأحق بالذب[4] عن الإسلام ، والقيام بالأحكام منهم .

فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادى على مسائله ، والحمد لله .

***

وصية الإمام بنشر الكتاب :

قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى – صلوات الله عليه وعلى آبائه ١٣٤و/ الطاهرين/ ومن وصل إليه من هذا الكتاب ، فلم يوضحه للناس ، ويبينه للمسلمين ؛ فهو فى أعظم الحرج حتى يكون الله ، جل ثناؤه ، هو المطالب له يوم القيامة ، بما كنتم من الحق ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[5]، والله ، عز وجل ، حسيب من ظلم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[6]، وصلى الله على سيد المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وعلم المهتدين،

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ١٠ – ١١.

(٢) فى الاصل : « و » .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٤) الدفاع والتصدى لأعدائه .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) هذا آخر رد المؤلف على عبد الله بن يزيد البغدادى المجبر ، ويليه رسالته فى الرد على المجبرة فى اعتقادهم عن إبليس ووساوسه . وقد نشرناها مع مؤلفنا « إبليس بين الحقيقة والوهم » بعد تحقيقها والتعليق عليها .

وخيرة رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الأمين الصادق على الله ، جل ثناؤه ، والمستضئ بكتابه ، والتابع لأمره ، حتى مضى صابراً محتسباً ناصحاً، فصلوات الله عليه ، وبركاته، ورحمته عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

***

انتهى كتاب النجاة

المحقق

إمام عبد الله